

الدرس البلاغي في بغداد

الدكتور احمد مطلوب
عضو المجمع العلمي وأمينه العام

(١)

كانت البصرة والكوفة أول مِصْرَين إسلاميين في العراق عنينا بالعلوم اللغوية والدينية والأدبية . فقد استقر فيهما القادمون من مهبط الرسالة وهم يحملون الهدایة للإنسانية ، وينيون حضارة أنارت العالم . وببدأت الدراسات اللغوية تنشط فكان الخليل بن احمد الفراهيدي وسيبوهيفي البصرة ، والكسائي والفراء في الكوفة . وحينما بُنيت بغداد وأصبحت حاضرة العالم العربي والاسلامي وفد العلماء إليها فازدهرت فيها العلوم ، ونشأ فيها علماء كان لهم الفضل الكبير في نشر العلوم .

وتشهد كتب الترجم والتاريخ ولاسيما « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي على ما كان لهذه الحاضرة من نشاط علمي تجلّى في مختلف العلوم والأداب ، وكانت البلاغة إحدى تلك العلوم التي بدأت براعسَم في البصرة والكوفة ثم تفتحت في بغداد حيث مجالس الدرس وحلقات العلم وبيت الحكمة والمدرسة النظمية والمدرسة المستنصرية ، وحيث الشعرا ينطقون بأعذب الشعر وأجمله ، والمؤلفون يضعون الكتب ، والكتّاب ينمقون الرسائل في فنون الكلام . وسادت الجو الأدبي تفحات روحية تنم على ذوق رفيع وموهبة أدبية لا تشوبها عينة ولا ترهقها حذقة الأدعية .

في هذا الجو الذي كانت بغداد تتنفس فيه ، وكان العلماء يستنشقون عبر العلم والأدب نشأت دراسات بلاغية ذات فحة تصدر عن عبق بغداد ، فتوحدَ المنطق وتحدد سمات البلاغة التي عَبَّرَت عن الحياة الأدبية في بغداد منبع العلم وملتقى العلماء .

(٢)

ظهر في بغداد كثير من علماء البلاغة والنقد ، ومن أشهرهم :

١ - ابن المقetr :

هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد ابن المهدى بن المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمى .

وُلد في بغداد وقيل في سامراء لسبع بقين من شعبان سنة سبع وأربعين ومائتين للهجرة ، وقيل سنة ست واربعين ومائتين ، وقيل سنة تسع واربعين ومائتين . وهو من العباسيين الذين تولوا الخلافة بعد سقوط الدولة الاموية ، وكان شاعراً ومؤلفاً وخليفة .

نشأ في دار الخلافة العباسية وأخذ العربية والادب عن المبرد وثعلب وعن مؤديه احمد بن سعيد الدمشقي ، قال ابن خلكان : « كان اديباً بلغاً ، شاعراً مطبوعاً ، مقتدرًا على الشعر ، قريب المأخذ ، سهل اللفظ ، جيد القرحة ، حسن الابداع للمعاني ، مخالطاً للعلماء والادباء معدوداً في جملتهم »^(١) . وقال ابو الفرج الاصفهاني : « ومن صنع من اولاد الخلفاء فأجاد وأحسن وبرع وتقدير ابو العباس عبد الله بن المعتز بالله » وقال : انه كان « حسن العلم بصناعة الموسيقى والكلام على النغم وعللها »^(٢) .

شهد ابن المعتز الحياة السياسية المضطربة واكتسح بنارها ، فقد خلع الخليفة المقتدر يوم السبت لعشرين بقين ، وقيل سبع بقين من شهر ربيع الاول سنة ست وتسعين ومائتين ، وبوييع عبد الله بالخلافة ، ولقب المرتضى بالله ،

(١) وفيات الاعيان ج ٢ ص ٢٦٣ .

(٢) الاغانى ج ١٠ ص ٢٧٦ .

وقيل : الراضي بالله ، واقام يوما وليلة ، ثم أن اصحاب المقدار تحزبوا ، وتراجعوا وحاربوا أعون ابن المعتز ، وشتوهم وأعادوا المقدار الى الخلافة واختفى ابن المعتز في دار أبي عبدالله الحسين بن عبد الله بن الحسين المعروف بابن الجصاص التاجر الجوهرى ، فأخذته المقدار وسلمه الى مؤنس الخادم الخازن فقتله وسلمه الى اهله ملفوفا في كساء ، وقيل : إنه مات حتف أنهه . قال ابن خلكان إن ذلك «ليس ب صحيح ، بل خنقه مؤنس ، وذلك يوم الخميس ثانى شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومائتين ، ودفن في خرابه بازاء داره — رحمة الله تعالى »^(٣) . وبذلك انتهت حياة خليفة وشاعر ومؤلف بهذه المأساة ، وقد الادب العربي اديبا كان له أن يبدع أكثر مما أبدع وأن يضيف الكثير لو استمرت به الحياة طويلا .

وله من التصانيف :

- ١ - كتاب الزهر والرياض
- ٢ - كتاب البديع ، وهو من أهم كتب البلاغة العربية وأقدمها ، وقد طبع أول مرة في لندن سنة ١٩٣٥ بعنوان *المستشرق الروسي أغناطيوس كراتشكونسكي* ، ثم طبع بعد ذلك عدة مرات ومنها طبعة محمد عبد المنعم خفاجي في القاهرة .
- ٣ - كتاب مكاتبات الاخوان بالشعر .
- ٤ - كتاب الجوارح والصيد .
- ٥ - كتاب أشعار الملوك .
- ٦ - كتاب السرقات .
- ٧ - كتاب الآداب .
- ٨ - كتاب حل الأخبار .
- ٩ - كتاب طبقات الشعراء ، وقد طبع أول مرة بعنوان عباس إقبال ، ثم طُبع في مصر سنة ١٩٥٦ بتحقيق عبدالستار احمد فراج .

(٣) وفيات الاعيان ج ٢ ص ٢٦٤ .

- ١٠ - كتاب الجامع في الغناء ٠
- ١١ - كتاب ارجوزة في ذم الصبور ٠
- ١٢ - فصول التماشيل (مطبوع) ٠
- ١٣ - ديوان شعره ، وقد طبع عدة مرات منها طبعة محبي الدين الخياط سنة ١٣٧١ هـ ، وطبعه القاهرة سنة ١٩٧٧ م بتحقيق الدكتور محمد بدیع شریف (في جزئین) ، وطبعه بغداد سنة ١٩٧٧ م بتحقيق الدكتور یونس احمد السامرائي (في ثلاثة اجزاء) (٤) ٠

وابن المعتز وإن اشتهر بالشعر ، إلا أنه كان من أوائل الذين ألفوا في البلاغة العربية وقد استفاد من جهود الجاحظ وابن قتيبة والبرد وشلبي ، فألف كتاب «البدیع» الذي كان خطوة في سبيل تقدم الدراسات البلاغية والنقدية وقد ذهب بعض الباحثين كالدكتور طه حسين والدكتور نجيب البهيتی إلى أن ابن المعتز متأثر بكتاب «الخطابة» لارسطو (٥) ، ولكن نظره عابرة في كتاب «البدیع» ترد هذا الرأي وتنقضه ، فكل ما فيه عربي صميم ، وليس في كتاب أرسطو ما يلتقي بمواضيعه ويتصل بمنهجه إلا مِنْ بعيد ، وهو ما يلاحظ في آداب اللغات جميعاً . وقد ألف ابن المعتز كتابه ردّاً لمن يلمsson قواعد البلاغة في كتب اليونان ودفعاً عن الأدب العربي القديم ، وتفيداً للدعوى الشعوبيين ومنْ أراد النيل من العرب وتراثهم ، ومن يزعمون أن البدیع فن طرأ على الأدب العربي بعد القرن الأول للهجرة جاء به الشعراء المؤكدون كبشر و أبي نواس ومسلم بن الوليد ٠

قال ابن المعتز متحدياً : « وقد قدّمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكلام الصحابة والاعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سَمِّيَّاه

(٤) تنظر كتبه في وفيات الاعيان ج ٢ ص ٢٦٤ وغيره ٠

(٥) ينظر نقد النشر المنسب إلى قدامة بن جعفر ص ١٢ (المقدمة) وأبو تمام الطائي ص ١٩٦ - ١٩٩ ٠

المُحَدَّثُونَ «الْبَدِيعُ» لِيُعْلَمَ أَنَّ بَشَارًا وَسَلَمًا وَبَابًا فَوَاسٍ وَمِنْ تَقَيِّلَهُمْ^٦
وَسَلَكَ سَبِيلَهُمْ لَمْ يَسْبِقُوهُ إِلَى هَذَا الْفَنِ وَلَكِنَّهُ كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِهِمْ فَعَرِفَ فِي
زَمَانِهِمْ حَتَّى سُمِّيَّ بِهِذَا الاسمَ فَاعْرَبَ عَنْهُ وَدَلَّ عَلَيْهِ» . وَقَالَ : «غَرَضُنَا فِي
هَذَا الْكِتَابِ تَعْرِيفُ النَّاسِ أَنَّ الْمُحَدَّثَيْنَ لَمْ يَسْبِقُوا الْمُتَقْدِمِينَ إِلَى شَيْءٍ مِّنْ
أَبْوَابِ الْبَدِيعِ» .

وقد سعى في كتابه إلى هدفين :

الاول : تبني للشعراء ، يوازن بين ما قالوه ، ويحسن ما يرثون ، ويرفض
ما لا يرى ، ويرجعهم عن صلفهم بأن ما اخترعوه من اللطيف أو البديع إنما كان
من لطيف حسن الأقدمين وبديع تصورهم .

الآخر : تقنيني قاعدي ، اذ جمع صنوف البديع المعروفة وزاد عليها ووضع
لها تسميتها ، وأغرى من أتى بعده ليحنو حذوة ويسلك سبيله .

ويقوم منهجه على تقسيم الكتاب إلى البديع ، وهو : الاستعارة :
والتجنيس ، والمطابقة ، وردأ عجاز الكلام على ما تقدمها ، والمذهب الكلامي .
والى محسن الكلام وهي ثلاثة عشر : الالتفات ، والاعتراض ، والرجوع ،
وحسن الخروج ، وتأكيد المدح ، وتجاهل العارف ، والهزل يُرَادُ به الجد ،
وحسن التضمين ، والتعريض والكتابية ، والافراط في الصفة ، وحسن التشبيه ،
والاعنات (لزوم مالا يلزم) وحسن الابتداء .

ولم يكن ابن المعز مثبوتاً لما تناول في كتب الفراء وأبي عبيدة والجاحظ
وابن قتيبة والمبرد وثعلب فحسب ، وإنما امتاز عنهم بنظرية قديمة تعتمد على
الذوق والمعرفة الواسعة ، وهو الشاعر الأديب المثقف .

وتقوم طريقة في معالجة الفنون على تعريف الفن تعريفاً لغوياً ليس فيه
التحديد الدقيق والنظرة الكلية ، أو كما يقول أهل المنطق : «ليس جامعاً مانعاً» .
قال في الاستعارة : إنها «استعارة الكلمة لشيء لم يُعرَفْ بها من شيء قد

(٦) البديع ص ١ ، ٣ .

عُرِفَّ بها»^(٧) . وقال في التجنيس : « هو أن تجيء الكلمة تجنس أخرى في بيت شعر وكلام ، ومجاًستها لها أنْ . تشبهها في تأليف حروفها على السبيل الذي الف الأصمعي كتاب الاجناس عليها . وقال الخليل : الجنس لكل ضرْبٍ من الناس والطير والعرض والنحو »^(٨) . ويدرك بعد التعريف أمثلة جيدة ، ثم يتبعها بأمثلة ليس فيها رَوْعَةً وجمال ليظهر ما بين الجيد والمردى من تفاوت واختلاف ، وبذلك ابتعد عن السابقين الذين سيطرت على كتبهم النزعة النحوية واللغوية ، وسار في طريق الشعر والفن ، لأنه كان شاعراً يهذّب الكلام البليغ . قال أبو الفرج الاصفهاني : « وأمره مع قرب عهده بعصرنا هذا مشهور في فضائله وآدابه شهرة تشرك في أكثر فضائله الخاص والعام . وشعره وإنْ كان فيه رقة الملوكيّة وغزل الظرفاء ، وهلَّهَلة المُحْمَدَيْن ، فإنْ فيه أشياءً كثيرةً تجري في أسلوب المجيدين ، ولا تفَصَّر عن مدى السابقين وأشياءٌ ظريفةٌ من إشعار الملوك في جنس ماهم بسيطه ، ليس عليه أن يتشبه فيما يفحول الجاهلية »^(٩) .

وأَمَّا كتاب « البديع » في الكتب التي جاءت بعده مثل « فقد الشعور » لقدامة بن جعفر ، و « كتاب الصناعتين » لأبي هلال العسكري ، و « الموازنة بين الطائين » للأمدي و « العمدة » لابن رشيق ، و « بدیع القرآن » و « تحریر التحیر » لابن أبي الاصبع المِصْرِيّ وغيرها .

ولابن المعتر رسالة في محاسن شعر أبي تمام اشار فيها الى بعض الفنون البديعية ، وكانت تطبيقاً لما عرضه في كتابه « البديع » وقد ذكرها المرزبانى في كتابه « الموشح »^(١٠) ولعلَّ قدامة بن جعفر يعنيها بكتابه « الرد » على ابن المعتر » .

(٧) البديع ص ٢ .

(٨) البديع ص ٢٥ .

(٩) الاغانى ج ١٠ ص ٢٧٤ .

(١٠) الموشح ص ٤٧٠ .

وله آراء وأقوال في كتب الأدب كزهر الأدب للحصرى ، منها قوله في البلاغة : « البلاغة .. البلوغ إلى المعنى ، ولم يُظل سِرِّ الكلام »^(١١) وقوله في البيان : « البيان ترجمان القلوب ، وصَيْقَلَ العقول ومجلبي الشبهة ، ووجب الحجة والحاكم عند اختدام الظنون ، والمفرق بين الشك واليقين وهو من سلطان الرجل الذي اقاد به الصعب واستقام الأصيده ، وبهت الكافر ، وسلم الممتنع حتى أشب الحق بأنصاره ، وخلأ ربع الباطل من عماره ».

وخير البيان ما كان مصراً عن المعنى ليسرع إلى الفهم ، تلقيه موجزاً ليحف على النقط تعاطيه»^(١٢) . وقوله في صلة اللفظ بالمعنى : « والعاقل يكسو المعاني وهي الكلام في قلبه ، ثم يديها بالفاظ كواسٍ في أحسن زينة ، والجاهل يستعجل باظهار المعاني قبل العناية بتزيين معارضها واستكمال محاسنها »^(١٣).

وهذه الآراء والأقوال تكشف عن نظرية ابن المعتز إلى البلاغة ، وتوضح فزعته في النقد وتقدير الكلام ، وتعطي لدوره في البلاغة والنقد مقاماً محموداً .

٢ - قدامة بن جعفر :

هو أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب البغدادي . ولد في بغداد ، وكان نصراانياً واسلم على يد المكتفي الذي تولى الخلافة بين سنتي ٢٩٥ و ٢٩٥ للهجرة ، قال ابن النديم في الفهرست : « هو قدامة بن جعفر بن قدامة ، وكان جده نصراانياً واسلم على يد المكتفي بالله ، وكان قدامة أحد البلغاء والفصحاء وال فلاسفة الفضلاء»^(١٤) ، وهذا يدل على تنويع ثقافته التي تبدو واضحة في كتبه ولاسيما « نقد الشعر » و « جواهر الالفاظ » و « الخراج وصناعة الكتابة » .

وتذكر المصادر القدية أنَّ قدامة سأله ثعلباً عن أشياء ، ولعله درس عليه واتصل باعلام اللغة الذين أدرك زملائهم كالمبرد والسكنري وابن قتيبة .

(١١) زهر الأدب ج ١ ص ١٢٧ . (١٢) زهر الأدب ج ١ ص ١٠٨ .

(١٣) زهر الأدب ج ١ ص ١١٨ . (١٤) الفهرست ص ١٤٤ .

وكان الى جانب اهتمامه باللغة متضلعا من الشعر وكتابه « تقد الشعر » خير دليل على فهمه لطبيعة الشعر واستخلاص اصوله ونقاشه . وكانت الثقافة اليونانية معروفة في زمانه فنهل منها واعدها ابن النديم من « الفلاسفة الفضلاء » ومن « يشار اليه في علم المنطق » . وقال ياقوت الحموي : « وقرأ صدرا صالحا من المنطق ، وهو لائح على ديباجة تصانيفه » (١٥) .

كان عارفا بالخارج وما يتصل به وكتابه « الخراج وصناعة الكتابة » يدل على عمق معرفته بهذا العلم فقد تعرض لكثير مما يتصل بالخارج ، وتحدث عن الدواوين المختلفة التي كانت في عهده كديوان الجيش وديوان النفقات ، وديوان بيت المال ، وتكلم على الاراضي وقسمة المعمورة منها والأموال والمعادن والركاز وكل ما يتصل بالخارج .

وهذه الثقافة الواسعة فتحت له الطريق للاتصال بال الخليفة المكتفي واسلامه على يديه ، وبني الفرات ، وولي ديوان الزمام للوزير ابي الحسن بن الفرات ، واتصل بالوزير علي بن عيسى وعرض كتابه « الخراج » عليه . قال ابو حيان التوحيدی : « وما رأيت أحداً تناهى في وصف النثر بجميع ما فيه وعليه غير قدامة بن جعفر في المزيلة الثالثة من كتابه ، وقال لنا علي بن عيسى الوزير : عرض علي قدامة كتابه سنة عشرين وثلاثمائة ، واحتبرته فوجده قد بالغ وأحسن ، وتفرد في وصف فنون البلاغة في المزيلة الثالثة بما لم يشركه فيه أحد من طريق اللفظ والمعنى مما يدل على المختار المجتبى والمعيب المجتبى ولقد شاكه فيه الخليل بن احمد في وضع العروض ، ولكنني وجدته هجين اللفظ ، ركيك البلاغة في وصف البلاغة حتى كأن ما يصفه ليس ما يعرفه ، وكأن ما يدل به غير ما يدل عليه » (١٦) .

ولم يزل قدامة ذا حظوة لدى الخلفاء العباسيين ووزرائهم حتى توفي في أيام الخليفة المطيع سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة للهجرة .

(١٥) معجم الادباء ج ١ ص ٢٠٤ .

(١٦) الامتناع والمؤانسة ج ٢ ص ١٤٥ .

وله من الكتب :

- ١ - كتاب الخراج وصناعة الكتابة وهو ثماني منازل وقد طبع (دي غويه) شبّذاً منه في نهاية كتاب «المسالك والمالك» لابن خرداذبه في عام ١٨٨٩م ، وهو ما يتعلّق بديوان البريد ، والسكك ، والطرق والنواحي إلى المشرق والمغرب . وحققه الدكتور محمد حسين الزبيدي وأصدره في بغداد سنة ١٩٨١م ، ويبدأ من المنزلة الخامسة لأن المنازل الأربع الأولى ضائعة .
- ٢ - نقد الشعر وقد طبع عدة طبقات منها طبعة المستشرق س.أ. بو فياكر التي صدرت بمدينة ليدن سنة ١٩٥٦م وطبعة كمال مصطفى التي صدرت في القاهرة سنة ١٩٦٣م .
- ٣ - كتاب صابون الغم .
- ٤ - كتاب صرف الهم .
- ٥ - رسالة في أبي علي بن مقلة ويعرف بالنجم الثاقب .
- ٦ - كتاب جلاء الحزن .
- ٧ - كتاب درياق الفكر .
- ٨ - كتاب السياسة .
- ٩ - كتاب الرد على ابن المعتر .
- ١٠ - كتاب حشو حشاء الجليس .
- ١١ - كتاب صناعة الجلد .
- ١٢ - كتاب نزهة القلوب وزاد المسافر (١٧)

وذكر ابن النديم أن «أبي الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة تفسير بعض المقالة الاولى من السماع الطبيعي»^(١٨) لأرسسطو طاليس . وذكرت له كتب

(١٧) ينظر الفهرست ص ٣١١ ، معجم الادباء ج ٦ ص ٢٠٤ ، ومقدمة نقد الشعر ص ٩ .

(١٨) الفهرست ص ١٤٤ .

آخرى منها : « زهر الربيع في الاخبار » و « كتاب البلدان » و كتاب « الجوابان » و كتاب « جواهر الانفاظ » وهو يشتمل على الفاظ مختلفة تدل على معانٍ متفقة مؤلفة وقد حرقه محمد محبي الدين عبدالحميد ، وأعيد طبعه في بيروت سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

وتشب الى قدامة كتاب « نقد النثر » الذي أصدره الدكتور طه حسين وعبد الحميد العبادي ولكنه كان قسما من كتاب « البرهان في وجوه البيان » لابن وهب الكاتب الذي حققه الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديشي وطبعاه في بغداد سنة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .

وقدامة على الرغم من تأليفه في موضوعات مختلفة ، إلا أن صناعة الكتابة هي التي طفت عليه وكان من أبرز علماء البلاغة والنقد في القرن الرابع للهجرة .

ويعد كتابه « نقد الشعر » من أهم ما أُلْقِفَ في ذلك القرن . وقد ألقى الناس يخبطون في النقد منذ تفهوما في العلم ، فقليلا ما يصيرون . وقسم العلم بالشعر أقساما ، فقسم ينسب الى علم عروضه وزنته ، وقسم ينسب الى علم قوافيه ومقاطعه ، وقسم ينسب الى علم غريبه ولغته ، وقسم ينسب الى علم معانيه والمقصد منه ، وقسم ينسب الى علم جيده وردئه . وقد عثي الناس بوضع الكتب في القسم الاول وما يليه الى الرابع عنایة تامة فاستقصوا أمر العروض والوزن ، وأمر القوافي والمقاطع وأمر الغريب والنحو ، وتكلموا في المعاني الدال عليها الشعر وما الذي يوحي الشاعر ، ولم يجد قدامة أحداً وضع في نقد الشعر وتخلص جيده من ردئه كتابا ، فجَرَّدَ كتابه لذلك ليسد ما أهمله الناس وقصروا فيه .

تحدث في كتابه عن الشعر وحدّه ، وشرح تعريفه بأسلوب المناطقة الذين يعنيهم أن يكون التعريف جاماً مانعاً ، ولما كانت عناصر الشعر التي أحاط بها تعريفه أربعة هي : اللفظ ، والمعنى ، والوزن ، والتقوية ، فإنّ نعوت الجودة

تتصل بكل منها مفردة ومركبة مع غيرها من العناصر ، ومثلها صفات الرداءة ، فانها تدور مع العناصر مفردة ومع ائتلاف النفظ والمعنى ، وائتلاف النفظ والوزن ، وائتلاف المعنى والوزن وائتلاف القافية ٠ (١٩)

وتكلم على نعوت الجودة وزرعها على عناصر الشعر مفردةً ومركبةً ، ثم تحدث عن عيوب الشعر ووجوه رداءته ، ووقف عند أغراض الشعر وتكلم على المديح والهجاء والرثاء والوصف والنسيب ، وطاف في كثير من فنون البلاغة كالتقسيم ، والتمثيم ، والبالغة ، والمساواة ، والمطابق ، والمجانس ، والمقابلات والتفسير وغيرها من الفنون ٠

وتحدث عن البلاغة في مقدمة كتابه « جواهر الالفاظ » وذكر الوجوه التي يزدان بها الكلام كالترصيع والسبع وصحة التقسيم والبالغة ، وتكلم عليها في المنزلة الثالثة من كتابه « الخراج وصناعة الكتابة » ولكن هذه المنزلة لم تصل مع ما وصل من منازل الكتاب ، قال : « قد ذكرنا في المنزلة الثالثة من امر البلاغة ووجه تعلمها وتعريف الوجوه المحمودة فيها والوجوه المذمومة منها ما إذا وعي كان الكاتب واقعاً به على ما يحتاج إليه » (٢٠)

ولم يكن قدامة مقتليداً في البلاغة والتقد وإنما كان مبتدعاً لكثير من الفنون البلاغية ، والفنون التي اهتم بها عن السابقين هي: صحة التقسيم ، وصحة المقابلات ، وصحة التفسير ، وائتلاف النفظ مع المعنى والمساواة والاشارة ، والارداف ، والتمثيل ، وائتلاف النفظ مع الوزن ، وائتلاف المعنى مع الوزن ، وائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت ، والتوضيح والايغال ، واعتدال الوزن ، واستيقاً لفظ من لفظ ، وتلخيص الاوصاف ، والتوازي ، والمضارعة ، وعكس اللفظ أو عكس مانظم من بناء واتساق البناء ، والسبع ٠

أما الفنون الأخرى التي تحدث عنها او ذكرها في كتبه فهي مما عرفه السابقون كالفراء وأبي عبيدة والجاحظ وابن قتيبة والبرد وثعلب وابن المعتز ،

(١٩) ينظر نقد الشعر ص ١٣ وما بعدها .

(٢٠) الخراج وصناعة الكتابة ص ٣٧ .

ولكنهم لم يضعوا منهاجاً دقيقاً كما فعل ، وبذلك كانت كتبه ولاسيما « نقد الشعر » محاولة جديدة في نقد الشعر تقوم على تصور دقيق ونظر سليم .

٣ - ابن وهب الكاتب :

هو أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب . وليس في المصادر القديمة والحديثة المعروفة ترجمة له ، وإن كانت عائلة آل وهب مشهورة في العصر العباسي ، فجده – كما يبدو من اسمه – أبو أيوب سليمان بن وهب بن عمرو بن حصين بن قيس بن قبال ، وكان ينكر الاتساب إلى الحارث بن كعب على أخيه الحسن ، وعلى ابنه أبي الفضل احمد بن سليمان بن وهب لشدة تعلقهم به . وكان قبال كاتباً ليزيد بن أبي سفيان لما ولد الشام ثم لمعاوية من بعده ، ووصله معاوية بولده يزيد ، وفي أيامه مات واستكتب يزيد ابنه قيساً ، ثم كتب قيس لمروان بن الحكم ، ثم لولده عبد الملك ثم لهشام بن عبد الملك ، وفي أيامه مات . واستكتب هشام ابنه الحصين ، ثم استكتبته مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، ثم صار إلى يزيد بن عمر بن هشيرة .

ولما خرج يزيد إلى أبي جعفر المنصور أخذ للحسين أماناً ، فخدم المنصور ثم المهدي ، وتوفي في أيامه في طريق الري ، فاستكتب المهدي ابنه عمراً ، ثم كتب لخالد بن برمك ، ثم توفي وخلف سعيداً فما زال في خدمة آل برمك ، وتحول ولده وهب إلى جعفر بن يحيى ، ثم صار بعده في جملة ذي الرياستين الفضل بن سهل الذي قال في حقه : « عجبت لمن معه وهب كيف تهمه نفسه ؟ » ثم استكتبته أخوه الحسن بن سهل بعده ، وقتلته كرمان وفارس فاصلح حالهما ، ثم وجّه به إلى المأمون برسالة من قم الصلح وكتب سليمان للمأمون وهو ابن أربع عشرة سنة ، ثم لا يتاخر ثم لا شناس ، ثم ولد الوزارة للمهتمدي بالله ثم للمعتمد على الله وتقى عليه الموفق بالله فحبسه فمات في حبسه سنة ٢٧٢ هـ يوم الأحد منتصف صفر ، وقيل سنة ٢٧١ هـ وقال الطبرى في تاریخه انه توفي يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر في حبس الموفق طلحة والد المعتصم .

ولسلیمان بن وہب ولد اسمہ احمد بن سلیمان بن وہب أبو الفضل ،
وهو کاتب له شعر وقد تقلد اعمالا منها النظر في جباية الاموال ، توفي سنة
٥٢٨٥ هـ وله ابن آخر هو عبیدالله بن سلیمان وقد ذکرہ الصولی في «أدب
الكتاب» عدة مرات ، وتوفي سنة ٥٢٨٨ هـ . ولسلیمان اخ اشتهر في الدولة
العباسیة هو الحسن بن وہب المتوفی سنة ٥٢٥٠ هـ .

وکانت لائلة آل وہب منزلة كبيرة في العصر العباسی ، فترنم الشعراء
بمدحهم ، واشادوا بذكرهم وبکوهم يوم وَدَّعوا الحياة وكان لأبی تمام
والبحتری علاقة وثيقة بهذه العائلة ، ولهما فيها مدائح ومراثی .^(٢١)

وأبو الحسین إسحاق بن ابراهیم من هذه العائلة الكریمة ، وليس في
المصادر المعروفة ذکر له ولا لأبیه ابراهیم على الرغم من شهرة آل وہب ودورهم
في الحياة السیاسیة في العصر العباسی . وقد عُرِفَ أبو الحسین أخيراً حين
أماط اللثام عنه الدكتور علي حسین عبدالقادر سنة ١٩٤٩ م ، بعد أن وقف على
كتابه «البرهان في وجوه البيان» ووجد أثکه النسخة الكاملة من «نقد النثر»
المنسوب إلى قدامة بن جعفر . وكانت هذه الإشارة باباً فتح الطريق لتحقیق
الكتاب وإخراجه بعنایة الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خدیجۃ الحدیثی
سنة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .

وقد ألقى هذا الكتاب بعض الضوء على مؤلفه المجهول الذي ينتمي إلى
عائله آل وہب . وفي هذا الكتاب يشید أبو الحسین بالآل وہب ويعظمهم وكان
کثیراً ما يکرر «كان شیخنا ابو علي الحسن بن وہب رحمه الله» و «قال
ابو ایوب - رضی الله عنہ -» و «كان ابو ایوب - رحمه الله - رجلاً
مشهوراً بالبلاغة ولو لم تقدم من ذکر البلاغة الا بهذا القول من شیخنا -

(٢١) ينظر تاريخ الطبری (حوادث القرنين الثالث والرابع) ج ٨ ص ١٤٩ ؛
الاغانی ج ٢ ص ١٦٥ ، معجم الادباء ج ٣ ص ٤٥ ، وفیات الاعیان ج ٢ ص ١٤٤ ،
النجوم الزاهره ج ٣ ص ٣٧ ، ٤٠ ، ومقدمة البرهان في وجوه البيان ص ٣٧
وما بعدها .

رحمه الله — لكفى وأجزى ٠٠٠ » و « فلما تقلد شيخنا أبو القاسم عبيد الله ابن سليمان — رحمه الله — ٠٠٠ » وغير ذلك ٠ وينقل كثيرا عن شيخه الحسن بن وهب الذي كان ملِمّاً بالكتابة وأمورها ، مطلعا عليها ، عارفاً بأسرارها ٠

ولا يُعرَف تاريخ ولادة أبي الحسين ولا تاريخ وفاته ، وإنْ كان الراجح أنه توفي بعد سنة ٣٣٥ هـ لانه يذكر بعض الاحداث التي وقعت في ذلك العام منها وفاة علي بن عيسى الذي مات عام ٣٣٥ هـ وقد قال عنه أبو الحسين « وقد رأيت شيخنا علي بن عيسى — رحمه الله — يكتب أم المقتدر »^(٢٢) ومنها ذكره لابن الطياب الذي قال فيه : « ومنه ترجمة لآل مقلة ، ولابي الحسن بن خلف بن طياب — رحمه الله »^(٢٣) . وكان أبو الحسن هذا حيا في في سنة ٣٣٥ هـ وأشار إلى مقتل المقتدر على يد غلامه مؤنس ، وقال : « وكان نتيجة هذا الاعمال وشرارة هذه الافعال آنَ خرج السلطان في جيش على أحسن زينة لقتال غلام من غلمانه ، فقتل وحده من بين أهل عسکره ، وتفرق عنه الباقيون ، ورجعوا موفورين »^(٢٤) ، وقد حدثت هذا سنة ٣٢٠ هـ . لقد كانت سيرة أبي الحسين مجھولة على الرغم من أنه من آل وهب ، ولكن فضله ظل على تعاقب القرون ، فقد اخرج الدكتور طه حسين عبد الحميد العبادي قسماً من كتابه « البرهان في وجوه البيان » باسم « نقد الشر » ونسبة إلى قدامة ابن جعفر معاصر ابن وهب ولو لا مقالة الدكتور علي حسن عبدالقادر المنشورة في مجلة المجتمع العربي بدمشق سنة ١٩٤٩ م لظلت مخطوطة الكتاب الكاملة مجھولة لا يعرف عنها إلا اسمها المذكور في فهارس مكتبة تشسترية في دبلن عاصمة ايرلندا ٠

وكتاب « البرهان في وجوه البيان » خطوة جديدة في دراسة الأدب وفنونه دراسة علمية منظمة ، وكان الجاحظ قد أثار حركة علمية واسعة المدى

(٢٢) البرهان في وجوه البيان ص ٣٤٣ ٠

(٢٣) البرهان ص ٤٢٧ ٠

(٢٤) البرهان ص ٣٦٥ ٠

وكان لما كتب في «البيان والتبيين» صدى عميق في الدراسات البشائية وقد تحدث عن أنواع الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ ، وهي خمسة أشياء: اللفظ ، والاشارة ، والعقد ، والخط ، والحال التي تسمى النسبة ، ولكل واحد من هذه الأشياء الخمسة صورة بأئنة من صور صاحبها وحلية مخالفة لحلية آخرتها ، وهي التي تكشف عن أعيان المعاني في الجملة ثم عن حقائقها في التفسير ، عن أجناسها وأقدارها ، وعن خاصها وعامها ، وعن طبقاتها في السار والضار ، وعما يكون منها لغواً بهرجةً وساقطاً مطهراً^(٢٥) .

وحركت هذه الدراسة صاحب «البرهان» فألف كتابه لينظمها ويجمع شملها في كتاب يأتي به على أصولها ومعانيها والفاظها . ووجوه البيان عند أربعة هي :

- ١ - بيان الأشياء بذواتها وإن لم تَبِينْ بلغاتها .
- ٢ - البيان الذي يحصل في القلب عند إعمال الفكر واللب .
- ٣ - البيان باللسان .
- ٤ - البيان بالكتاب ، وهو الذي يبلغ من بعد أو غاب .

وهذه الاوجه قريبة مما ذكره الجاحظ في الدلالات ، فان النسبة هي بيان الاعتبار ويمكن أن يدخل فيها بيان الاعتقاد ، لافه ثمرة بيان الاعتبار ونتيجة في القلب ، دلالة اللفظ هي البيان الثالث ، دلالة الخط هي البيان الرابع .

وقسم ابن وهب في ضوء هذه الوجوه كتابه الى أربعة أقسام واضحة المعالم هي :

- البيان الاول : الاعتبار .
- البيان الثاني : الاعتقاد .

(٢٥) البيان والتبيين ج ١ ص ٧٧

البيان الثالث : العبارة أو البيان بالقول

البيان الرابع : الكتاب

والبيان الثالث هو الذي يتصل بالبلاغة والنقد ، وقد تحدث فيه ابن وهب عن خواص العبارة ، وأطال الوقوف عند الخبر والطلب والنسخ والمعارضة ، وهي من اقسام العبارة التي يتساوى اهل اللغات في العلم بها ، اما العرب فلهم استعمالات أخرى من الاستدراق والتشبيه واللحن والرمز والوحى والاستعارة والامثال واللغز والحدف والصرف والمبالغة والقطع والعطف والتقديم والتأخير والاختراع وتحدث عن هذه الفنون ، وانتقل الى باب تأليف العبارة وقسم الكلام الى منظوم ومنتور ، وقضى الشعر الى قصيدة ورجز ، وسمط ومزدوج ، وعرض بعض الضرورات الشعرية و موقف الاسلام من الشعر ومكانته عند العرب ، ولفنونه الكثيرة التي تجمعها في الاصل اصناف اربعة هي : المديح والهجاء والحكمة واللهو . وانتقل بعد ذلك الى المنشور وقسمه الى خطابة وترسل واحتجاج وحديث ، وذكر فنون الخطابة وخصائص أساليبها متأثراً بما كتبه الجاحظ في «البيان والتبيين» وانتقل الى الترسل وعقد فصلاً في الجدل والمجادلة وادب الجدل والحديث الذي يجري بين الناس في مخاطبتهم ومحاجتهم ومناقلاتهم وله وجوه كثيرة : الجد والهزل ، والسخف والجزل ، والحسن والقبح ، والملحون والفصيح ، والخطأ والصواب ، والصدق والكذب ، والنافع والضار ، والحق والباطل ، والناقص والتام ، والمردود والمقبول ، والمهم والفضول ، والبلغي والعيي .

لقد حاول ابن وهب أن تكون للأدب وفنونه دراسة علمية تخضع للعقل والأدلة الى جانب عنايتها بالنصوص وما فيها من قيمة بلاغية وأدبية ويتبين أثر منطق أرسطو ومنهج المتكلمين وحجتهم وأسلوب الفقهاء وأراءهم في كتاب «البرهان» وبذلك يختلف ابن وهب في عرضه لقضايا البلاغة والنقد عن معاصره قدامة صاحب «نقد الشعر» الذي ثُبِّتَ اليه قِسْمٌ من كتاب «البرهان» باسم «نقد النثر» .

إن عمله كان عظيماً إذ بُنيَ على أساس قوية ، وكان لمنطق أرسطو ، ومنهج التكلمين أثر في «البرهان» . وكانت للمؤلف شخصيته التي طبعت كتابه باسلوبه على الرغم من اتفاقه بالثقافة المنطقية ، لانه عرف ما للعرب وما لغيرهم ، ومضى يتحدث عن فنون البلاغية بروح عربية لا تخضع للمقاييس اليونانية التي ربط الدكتور طه حسين بينها وبين كتابه «البرهان» وأضاف الى ذلك كله دراسات طويلة فيما يحتاج اليه الكتاب ، وهو ما يدخل في الاحكام السلطانية وهذه الدراسات ليست يوفانية أو أجنبية وإنما هي عربية تعتمد على الشريعة الإسلامية والقيم والنظم التي كانت توجه الحياة العربية ، أي أنَّ ابن وهب كان يسعى الى دراسة عملية ينتفع بها الكتاب ويستعين بها ولو الامر من ولاة وعمال وهذا مالم يسعَ اليه قدامة بن جعفر الذي نسبَ اليه الكتاب ، وقد اتضحت من الدراسة :

- ١ - أنَّ الاسم الحقيقي الذي طمسته الأيام هو «البرهان في وجوه البيان» وليس «نقد الشر» .
- ٢ - أنَّ الكتاب ليس لقدامة بن جعفر وإنما لمعاصر له هو «ابو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب» .
- ٣ - أنَّ القسم المطبوع باسم «نقد الشر» أقل من نصف الكتاب .
- ٤ - أنَّ الكتاب ليس كتاب «الخراج وصناعة الكتابة» لقدامة بن جعفر لاختلفهما في المنهج والمواضيع .
- ٥ - أنَّ الكتاب أُلْتَفَ بعد عام ٣٣٥هـ .
- ٦ - أنَّ ثقافة مؤلف «البرهان» تختلف اختلافاً واضحاً عن ثقافة قدامة بن جعفر ، فهي ثقافة إسلامية عربية يغلب عليها الطابع الفقهي والكلامي ، ولم تكن لقدامة هذه الثقافة الإسلامية العميقه .
- ٧ - أنَّ أسلوب كتاب «البرهان» أسلوب جيد ليس فيه هَلْكَةً وكان يميل أحياناً الى السجع والازدواج . إنَّ ظهور كتاب «البرهان» أضافَ

بلغياً وناقداً جديداً إلى حركة البلاغة والنقد في بغداد في القرن الرابع للهجرة وصَوَّرَ ما كانت عليه تلك الحركة في ذلك القرن الظاهر.

٤ - ابن ناقيا البغدادي :

هو عبد الله بن محمد بن الحسين بن ناقيا بن داود بن محمد بن يعقوب بن أبي الفتح الحنفي المعروف بالبندار الشاعر البغدادي . وقيل : هو عبدالباقي ، ولكن اسمه في الغالب عبدالله كما في الصفحة الأولى من كتابه « الجمان في تشبيهات القرآن » .

ولد في منتصف ذي القعدة سنة عشر وأربعين سنة للهجرة وفي إنباه الرواة : « وسُئلَ عن مولده فقال : في النصف من ذي القعدة سنة عشر وأربعين سنة » (٢٦) ولم يشد أحد من ترجم له عن هذا التاريخ (٢٧) .

وابن ناقيا من أهل الحرير الطاهري وهي محلة ببغداد منسوبة إلى طاهر ابن الحسين ، وكان يسكن شارع دار الرقيق من درب العوج وفي الجوادر المضية إله من أهل شارع دار الرقيق ، وهو في الحرير الطاهري (٢٨) .

وابن ناقيا أديب ، شاعر ، لغوبي ، وكان فاضلاً له ترسل وشعر وأدب ومقامات وتصنيفات في الأدب ، وهو كما يقول العماد الأصفهاني : « من شعراء الدولة القائمة والمقدمة ، من أهل الحرير الطاهري ببغداد ، شاعر مجيد وفاضل مفید ما على ظمه الرائق وثره الفائق مزيد ، وله مقامات أدبية معروفة بين أهل الأدب وهو رقيق الشعر سليم المذهب » (٢٩) . وتتضح ثقافته فيما وصل من آثاره كمقاماته وكتاب « الجمان في تشبيهات القرآن » ويدو فيهما أنه كان على اطلاع واسع ، وهذا ثقافة متشعبة المنازع متعددة الألوان . ويدو من

(٢٦) إنباه الرواة ج ٢ ص ١٥٦ .

(٢٧) ينظر وفيات الاعيان ج ٢ ص ٢٨٥ ، بغية الوعاة ج ٢ ص ٦٧ ، ومقدمة الجمان في تشبيهات القرآن ص ٨ وما بعدها .

(٢٨) الجوادر المضية ج ١ ص ٢٨٣ .

(٢٩) خريدة القصر ج ٣ ص ٢٣٨ .

الروايات التي ذكرها في الجمان أله تلمند – أول ما تلمند – على أبيه الذي كان يروي الشعر وينقل الاخبار ، فهو كثيراً ما يذكر « حديثي أبي » أو « أنسدني أبي » وغير ذلك من العبارات التي تدل دلالة واضحة على أنَّ آباء كان من لهم مشاركة في العلم والادب .

وسمع من أبي القاسم علي بن محمد التنوخي ، وأبي الحسين بن احمد ابن النكور ، والعشاري ، وابن المقدار وعبدالرحمن عبيد الله المخرمي ، وروى عن جماعة من الشعراء كأبي الخطاب محمد بن علي الجبلي وأبي القاسم عبدالواحد بن محمد المطرز ، وأبي الحسن محمد بن محمد بن البصري ، وروى مصنفاته ومنتوره ونظمه وشيئاً من حديثه .

وروى عنه عبدالوهاب الانمطي ومحمد بن فاصر وشجاع بن فارس الذهلي ، وابو غالب الديلي وأبو علي بن المهدى وابن السمرقندى (٣٠) .

وكان يذهب الى رأى الاوائل ، وله مقالة في التعطيل وكان مطعوناً في دينه وعقيدته كثير المهزول والمجون وكان يقول : « في السماء نهر من خمر ونهر من لبن ، ونهر من عسل لا ينقطع منه شيء وينقطع هذا الذي يخرب البيوت ويهدم السقوف ، وقال ابن الانمطي عنه « ما كان يصلى » (٣١) .

وما رواه القدماء عنه في هذا الشأن أمر عجيب فكيف يذهب هذا المذهب منْ كان رجلاً عالماً فاضلاً له في دراسة القرآن الكريم جولات وفي تفسيره صولات ولا يمكن أنْ يؤلف « الجمان » إلاً رجل ذو خلقٍ عظيم يتصرف بالغة ، ويشتهر بالتقى والصلاح . ولعله كان – كما وصفه المؤرخون – قبل أنْ تمضي به الحياة يوم كان شاعراً غيرًا ينظم الشعر القيق ويُثْلِث لواعج فؤاده ، وينشر صباباته بين أصدقائه في المجالس ، فقد كان « شاعراً مجيداً ، عنِّبُ الألفاظ مليح المعاني وكان حسن المعرفة بالادب ، ظريفاً من محسن الناس » ولعل هذه الصفات والخلال الرقيقة والظرف العجيب كانت مدعاة

(٣٠) تنظر مقدمة الجمان ص ١٠ . (٣١) وفيات الاعيان ج ٢ ص ٢٨٥ .

لاتهامه بما اتهمه والطعن فيه . وكانت بينه وبين شيخه ابن الشبل منافرة ، ولعل سلوكه مع شيوخه وأساقفته أثار عليه البعضاء ، فـ «وَصِيفٌ» بما ذكره القدماء . وكانت وفاته ليلة الأحد رابع المحرم سنة خمس وثمانين وأربعين للهجرة ، ودفن بباب الشام في بغداد .

ذكر المؤرخون أن له كتاباً كثيرة وله ديوان شعر ، ومن كتبه التي أشارت إليها المصادر (٣٢) :

- ١ - كتاب ملح المصالحة .
- ٢ - شرح كتاب الفصيح لشعلب .
- ٣ - مختصر كتاب الأغاني في مجلد واحد .
- ٤ - ديوان رسائل .
- ٥ - أغاني المُحْمَدَيْن ، وسمّاه العمرى «المُحْمَدَى في الأغاني » .
- ٦ - ملح الكتاب ، وسمّاه القرشي « ملح الكتابة في الرسائل » ولعله ديوان رسائله .
- ٧ - مقامات أدبية وقد طبعت ضمن مجموعة في مطبعة احمد كامل سلطان بايزيد في استانبول سنة ١٣٣١ هـ وذكر الدكتور مصطفى جواد في مجلة المجمع العلمي العراقي (المجدد السادس ص ١٢٢) أن بعض المستشرقين طبعها في أوروبا .
- ٨ - ديوان شعر كبير .
- ٩ - الجمان في تشبيهات القرآن ، وقد حقه الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديشي وطبعاه ببغداد سنة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م وله طبعتان أخرىان ، أحدهما في الكويت والآخر في القاهرة .
- ويُعَدُّ ابن ناقيا بكتابه هذا من علماء البلاغة والنقد في بغداد ، وكتاب «الجمان» أول كتاب يختص بفن التشبيه في كتاب الله ، قال السيوطي : « وقد

(٣٢) تنظر في مقدمة الجمان ص ٢٠ وما بعدها .

أفرد لتشبيهات القرآن أبو القاسم بن البندار البغدادي في كتاب سماه «الجمان» وذكره في «بغية الوعاة» أيضاً^(٣٣)

سار ابن فقيا في كتابه على منهج أبي عبيدة في «مجاز القرآن» والشريف الرضي في كتاب «تلخيص البيان في مجازات القرآن» وبحث في التشبيه بحسب ترتيب السور وآياتها ، ووقف عند كل آية فيها تشبيه مفسراً وموضحاً ومستشهدًا بمنظوم العرب ومتورهم . قال في مقدمة الكتاب : «التشبيهات نوع مُسْتَحْسَنٌ» من أنواع البلاغة ، وقد ورد في كتاب الله – تعالى – ما نحن ذاكروه في هذا الكتاب ، وذاهبون إلى إيضاح معانيه والتنبيه على مكان الفضيلة»^(٣٤) .

وتحدث عن التشبيه وذكر أنَّ الشيء يُشبَّه بالشيء تارة في صورته وشكله وتارة في حركته وفعله وتارة في لونه ونجره وتارة في سوسيه وطبعه . وكل منهما متعدد بذاته واقع في بعض جهاته ولذلك يصح تشبيه الجسم بالجسم ، والعرض بالجسم ، والجسم بالعرض ، والعرض بالعرض . وللتشبيه أدوات منها الكاف ، وكأنَّ و مثل ، وشبَّه و نحو ذلك ، وربما استعنني عن هذه الأدوات بالمصادر نحو : «خرج خروج القدح» و «طلع طلوع النجم» و «مرق مروق السهم» ولا يكثُر مثل هذا في التنزيل ، وإنما عامة التشبيهات هنالك مقرونة بالأدوات .

وبعد أن اتى من هذه المقدمة تحدث عن تشبيهات القرآن ، فقال في قوله تعالى : «ثم قَسَّتْ قَلُوبُهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهُمْ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً» : «معنى قَسَّتْ : غلظت وبيست وعست ، فكأنَّ القسوة في القلب ذهاب اللين منه والرحمة والخشوع والرقه ومعنى قوله : «بعد ذلك» يريده من بعد إحياء الميت لكم بعضو من أعضاء البقرة ، أي هذه آية عظيمة كان يجب على

(٣٣) الاتقان ج ٢ ص ٤٢ ، بغية الوعاة ج ٢ ص ٦٧ ، وينظر تاريخ الأدب العربي ج ٥ ص ١٤٤ (طبعة العربية) .

(٣٤) الجمان ص ٤٣ .

من شاهدتها فشاهده بمشاهدتها من قدرة الله - تعالى - ما يُزيل كل شَكَّ أَنْ
يلين قلبه ويُخضع»^(٣٥) .

وتحدث عن التشبيهات بهذا الاسلوب مستشهدًا بكلام العرب شره وشعره ولم يقف عند الجاهليين وإنما استشهد باشعار المسلمين والعباسيين كأبي فواس وأبن المعتز وغيرهما من الشعراء الذين رفعوا لواء التجديد في العصر العباسي . ويبدو من الأمثلة الكثيرة والمعلومات الغزيرة التي ترها في كتابه «الجمان» أَتَهُ على حظ عظيم من الثقافة ، وأنه متعرس في البحث والتأليف ، متبحر في اللغة ، وأنه ذو طبع سليم ، وذوق رفيع وإحساس صادق ، ولا يغُرُّه في ذلك وهو الشاعر الرقيق والكاتب المجيد الذي كتب في مختلف الفنون ونظم في شتى الأغراض . ولو قورن كتابه بالكتب التي أَلْقَتَ في التشبيهات مثل «التشبيهات» لابن أبي عون (٣٢٢ هـ) و «التشبيهات من أشعار أهل الاندلس» لابي عبد الله محمد بن الكتاكي الطيب ، و «التشبيهات من أشعار أهل الاندلس» لابي الحسن علي بن محمد بن ابي الحسين الكاتب ، و «حلية اللسان وبغية الانسان في الاوصاف والتشبيهات والاشعار السائرات» لأبي عامر السالمي محمد بن احمد بن عامر - لو قورن الجمان بهذه الكتب وغيرها من التي تحدثت عن فن التشبيه لرجحت كفة ابن ناقيا وكان كتابه في أعلى مرتبة وصل إليها المؤلفون قديماً .

وكتاب «الجمان» بعد ذلك مصدر مهم في التفسير والبلاغة والادب الرفيع ، ومادة طريقة يقرأها الدارس فيحسن بجو روحي تضفيه آيات الكتاب الحكيم ، ويشعر أَتَهُ في رِحَابِ أدبِ خالدِ وقفِ يَتَحَدَّىِ الزَّمْنِ
بِشَمْ وِإِبَاءٍ .

(٣٥) الجمان ص ٤٥ .

٥- ابو طاهر البغدادي :

ولد في بغداد شاعر مجید حسن الشعرا ، هو محمد بن حيدر بن عبدالله بن شعیان البغدادي الأديب ابو طاهر . ولم تذكر المصادر سنة وفاته ولا أسبابه وكتبه وكل ما قاله عماد الدين الاصفهاني أنه « الأديب ابو طاهر محمد ابن حيدر بن عبدالله بن شعیان البغدادي الشاعر ، كان شاعراً بليغاً مجيداً حسن الشعر رقيقه . يسكن سوق الثلاثاء أعيور . سمعت شيخنا عبد الرحيم ابن الاخوة البغدادي بأصبهان يقول : كان له شعر حسن وكان من مادحي سيف الدولة صدقة بن منصور ٠٠٠ ذكر صديقنا عمر بن الواسطي الصفار ببغداد سنة إحدى وستين قال : دخلت على ابن حيدر الشاعر في أيام المسترشد وأنا صغير وعنده جماعة يعودونه في مرضه الذي مات فيه وهو ينشد ، فحفظته بعد ذلك من بعض الحاضرين » ^(٣٦) .

وذكر له بعض الشعر في الخمر والوصف ومدح سيف الدولة صدقة بن منصور احد امراء الحلة المزیدین ، وذكر مثل ذلك الققطی ^(٣٧) واكتفى ابن شاکر الكتبی بالقول « محمد بن حيدر أبو طاهر البغدادي الشاعر المشهور توفي سنة سبع عشرة وخمسين » ^(٣٨) وذكر له بعض الشعر ، وهذا ما ذكره الصنفی ^(٣٩) ، ولم يزد عليه .

وذكر ابن تغري بردي فيمن توفي سنة إحدى وستين وخمسين وقال : « وفيها توفي محمد بن حيدر بن عبدالله الشيخ أبو طاهر البغدادي الأديب الشاعر المعروف بابن شعیان » ^(٤٠) وهذا غير صحيح لأنَّ المتقدمين ذكرها أَنَّ وفاته كانت سنة سبع عشرة وخمسين ، ولعل تغري بردي وَهِمُ حينماقرأ في الخريدة « سنة إحدى وستين » فظنَّ أنها تاريخ وفاته مع أن الخبر يدل على أنَّ الواسطي الصفار روى حادثة زيارته للبغدادي سنة إحدى وستين

(٣٦) خربدة القصر ج ٢ ص ٢١٩ .

(٣٧) المحمدون من الشعراء ص ١٩٥ .

(٣٨) فوات الوفيات ج ٣ ص ٣٢ .

(٤٠) النجوم الراحلة ج ٥ ص ٣٢ .

وخمسماة ولا يزيد بها أنه زار الشاعر في تلك السنة وعبارة « في أيام المسترشد » توضح ذلك لأن هذا الخليفة قُتِل سنة تسع وعشرين وخمسماة للهجرة .

ولم تذكر المصادر القديمة كتاباً للبغدادي ولكن بروكلمان^(٤١) يذكر أن له « قانون البلاغة »، وذكر مثل ذلك عمر رضا كحالة وخير الدين الزركلي^(٤٢)، وشك محمد بهجة الأثري في أن يكون هذا الكتاب للبغدادي، لانه لم تتهيأ له المصادر الموثقة للتثبت من ذلك ، ولهذا جعل بحثه عنه بعنوان « الشاعر ابو طاهر محمد بن حيدر البغدادي وكتاب قانون البلاغة المنسوب اليه » وتحدث عن أصل المخطوطة وما وصلت اليه^(٤٣) .

ونشر المجمع العلمي العربي بدمشق الكتاب مسلسلاً في المجلد السابع من مجلته سنة ١٩٢٧م ، ونشره محمد كرد علي في « رسائل البلاغة » ثم توكي تحقيقه الدكتور محسن غياض عجيل وأخرجه بحلة قشيبة .
وكتاب « قانون البلاغة » في قسمين :

الأول : في بلاغة النثر ونقدة ، وقد تحدث فيه عن البلاغة ، وألفاظ الكتاب ، ونحوت الانفاظ كالاشتقاق ، والمضارعة والتبدل والاستعارة ، ثم تكلم على عيوب اللفظ كاللحن ، والتجمیع ، والتکریر . ونحوت المعانی کصحۃ التقسيم ، وصحۃ المقابلات ، وصحۃ التفسیر ، والبالغة ، ثم تكلم على عيوب المعانی کالمستحیل ، والامتناع ، والتناقض . وأنهى القسم بالبحث في مذهب البلاغة کالمساواة ، والاشارة ، والتذليل ، والسرقات ، وما الى ذلك من فنون بلاغية .

(٤١) تاريخ الادب العربي (الملحق - الطبعة الالمانية) ج ١ ص ٤٩٢ و ج ٥ ص ١٦٤
(من الطبعة العربية)

(٤٢) معجم المؤلفين ج ٥ ص ٣٥ ، الاعلام ج ٦ ص ١١١ .

(٤٣) تنظر مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق - المجلد الأربعون - الجزء الرابع ص ٧٥ - ٧٧٣ و مقدمة قانون البلاغة ص ٥ وما يceedها .

الآخر : في بِلَاغَةِ الشِّعْرِ وَنَقْدِهِ كَالْطِبَاقِ ، وَالْجَنَاسِ ، وَرَدَّ الْعَجَزِ عَلَى الصُّدُرِ ،
وَالْكَنَاءِ ، وَالتَّعْرِيْضِ ، وَالتَّشْبِيْهِ ، وَالْإِسْتِعَارَةِ ، وَالْمَبَالَغَةِ ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ
مِنَ الْفَنُونِ الَّتِي أَدْخَلَهَا الْمُتَأْخِرُونَ فِي عِلْمِ الْبَيَانِ وَالْبَدِيعِ ٠
وَيَنْتَصِحُ مِنْ هَذِينَ الْقَسْمَيْنِ :

أولاً : أَنَّ الْمُؤْلِفَ اتَّفَعَ بِتَقْسِيمِ قَدَامَةَ بْنِ جَعْفَرٍ فَصَوْلَ كِتَابِهِ « نَقْدُ الشِّعْرِ »
فَهُوَ يَذَكُّرُ - مِثْلَهُ - نَعُوتَ الْأَلْفَاظِ وَعِيُوبَهَا ، وَنَعُوتَ الْمَعَانِي وَعِيُوبَهَا ٠
ثَانِيَا : أَنَّ فَنُونَ الْقَسْمِ الْأَوَّلِ تَخَصُّ الشِّعْرَ إِيْضًا ، فَهِيَ لَيْسَ خَاصَّةً بِالنَّشْرِ ٠
ثَالِثًا : أَنَّ الْمُؤْلِفَ سَرَدَ مَوْضِيَعَاتِ الْبِلَاغَةِ سَرِداً ، وَلَا سِيمَا الْقَسْمِ الثَّانِيِّ مِنْ
غَيْرِ تَصْنِيفٍ ، وَهَذَا شَأنٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمُؤْلِفِينَ فِي الْمَرْحَلَةِ السَّابِقَةِ كَابِنِ الْمَعْتَزِ
وَابِنِ طَبَاطِبَا الْعَلَوِيِّ وَفِي الْمَرَاحِلِ اللاحِقَةِ كَاسَامِةَ بْنِ مَنْقَذٍ وَابِنِ أَبِي
الْأَصْبَعِ الْمِصْرِيِّ وَاصْحَابِ الْبَدِيعِيَّاتِ وَغَيْرِهِمْ مَمْنُونَ لَمْ يَتَأْسِرْ بِمَنْهَجِ
« مَفْتَاحِ الْعِلُومِ » وَ« التَّلْخِيْصِ » وَشَرْوَحَهُمَا ٠

وَلِعِلَّ أَهْمَمِ مَزاِيَا الْكِتَابِ :

أولاً : أَنَّهُ لَخَصَّ فَنُونَ الْبِلَاغَةِ وَجَعَلَهَا سَهْلَةً وَتَنَاهُولَهُ مُنْ يَرِيدُ أَنْ يَدْرِسَهَا ٠
ثَانِيَا : أَنَّهُ تَبَكَّرَ إِلَى نَقْدِ النَّشْرِ وَأَهْمِيَّتِهِ ٠
ثَالِثًا : أَنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ النَّظِيرَةِ الْبِلَاغِيَّةِ وَالنَّظِيرَةِ النَّقْدِيَّةِ ، إِذَا لَمْ يَكْتُفِ بِعِرْضِ فَنُونِ
الْبِلَاغَةِ وَانْتَهَى عِرْضِ مَوْضِيَعَاتِهِ تَدْخُلُ فِي صَيْمِ النَّقْدِ مُثِلَّ كَلَامَهُ عَلَى
الفَاظِ الْكِتَابِ وَمَذَاهِبِ الْعُلَمَاءِ فِي الشِّعْرِ وَصَنَاعَتِهِ وَدَوَاعِيهِ ، وَاخْتِلَافِ
الشِّعْرَاءِ فِي الطبعِ ، وَالطبعِ وَالتكلفِ ، وَالنَّقْدِ وَالنَّقَادِ ، وَهُوَ مَا تَحدَثَ
عَنْهُ السَّابِقُونَ كَابِنِ طَبَاطِبَا الْعَلَوِيِّ ، وَقَدَامَةَ بْنِ جَعْفَرٍ ، وَابِنِ هَلَالِ
الْعَسْكَرِيِّ ، وَابِنِ رَشِيقٍ ، وَلَكِنَ الْبَغْدَادِيُّ كَانَ أَكْثَرُ إِيْجَازًا وَوَضْوِحًا ٠
رَابِعًا : أَنَّهُ فِيْهِ بَعْضُ الْمَحَاجَاتِ النَّقْدِيَّةِ الَّتِي تَدْلِي عَلَى حَسْنِ مَوْهَفٍ ،
وَذُوقِ رَفِيعٍ ٠

وَلَا تَقْلِيلُ مِنْ أَهْمَيَّةِ « قَانُونِ الْبِلَاغَةِ » إِشَارَاتُهُ النَّقْدِيَّةُ الْعَابِرَةُ ، أَوْ إِيْجَازُهُ
الَّذِي اعْتَدَرَ مِنْهُ بِقُولِهِ : « وَهَذِهِ الرِّسَالَةُ تَقْتَضِيِ الْإِقْنَاعَ وَلَا تَحْتَمِلُ الْاِشْبَاعَ ،

وانما نبذت اليك بذنا ، وعرضت عليك لما حتى لا تحكم من غير ثبت ،
فلا تقضى من غير تبين »^(٤٤) . وقد يكون الإيجاز أكثر شعاعا في بعض الأحيان
وإن كان الشرح والتحليل والتعليق من أهم ملامح النقد . ولكن أبا طاهر
البغدادي أراد أن يضع مبادئ أساسية ينتفع بها الأدباء في كتاباتهم ويستعين
بها النقاد في تقدّهم وفي ذلك خير عظيم .

٦- المظفر العلوى :

هو أبو علي المظفر بن السعيد أبي القاسم الفضل بن أبي جعفر يحيى بن
أبي علي عبدالله بن أبي عبد الله جعفر العلوى الحسينى . ولد بالموصل سنة ٥٨٤
للهجرة ومات فيها سنة ٦٥٦ ، ولكنه قضى معظم حياته في بغداد وتعلم فيها .
وتاريخ حياته غامض ولن يست هناك إلا إشارات عابرة عن أئساته وبيدو آنَّه
آباء كان أحد هم ^(٤٥) ، وذكر المظفر أحد مؤديه ، فقال وهو يحكى مارويا عن
المفضل الضبي « وقرب من هذه الحكاية مارواه لي مؤدي الشيخ أبو محمد
ابن أبي البركات بن البقال المقرىء المؤدب قراءة عليه في سنة اثنين
وستمائة »^(٤٦) ، ولعل عم والدة أبيه محمد بن محمد بن عبدالله العلوى
الحسيني الملقب بشيخ الشرف كان أحد الذين اتفق بهم ^(٤٧) .

عاصر العلوى أبن العلقمي الذي كان وزير المستعصم بالله آخر خلفاء
المملكة العباسية ، وكانت له صلة به ، وهو الذي حثّه على تأليف كتاب
« نَصْرَةُ الْأَغْرِيْضِ فِي نَصْرَةِ الْقَرِيْضِ » وهو الكتاب الوحيد المطبوع له .
ويذكر العلوى آنَّ له « الرسالة العلوية » ، يقول وهو يتحدث عن الفصاحة :
« وقد استوقينا اقسام ذلك في الرسالة العلوية »^(٤٨) . ويقول بعد قول
المتبني : « جَلَلَاهُ كَمَا بِي قَلْيَكَ التَّبَرِيْجُ » : « وقد ذكرنا شرح هذا البيت
في الرسالة العلوية واستوقينا اقسام ما فيه من العيوب »^(٤٩) . ويقول وهو

((٤٤)) قانون البلاغة ص ١٥٥ . ((٤٥)) نصرة الأغريض ص ٣٤٧ .

((٤٦)) نصرة الأغريض ص ٥٨ . ((٤٧)) مقدمة نصرة الأغريض ص (ج) .

((٤٨)) نصرة الأغريض ص ٢١ . ((٤٩)) نصرة الأغريض ص ٢٦٨ .

يتحدث عن خالق عوائد الشعراء في مقاصدهم : « وقد استوفينا الكلام والاشاد عليه في الرسالة العلّوية وبلغنا فيهغاية» (٥٠) .

ولا يُعرَف شيء عن هذا الكتاب إلا ما ذكره العلوى ، أما كتابه المطبوع فهو « نَصْرَةُ الْأَغْرِيْضِ فِي تَصْرِيْرِ الْقَرِيْضِ » الذي قسمه إلى خمسة فصول : الأول : في وصف الشعر واحكامه وبيان أحواله واقسامه .

الثاني : فيما يجوز للشاعر استعماله وما لا يجوز ، وما يدرك به صوابه القول ويجوز .

الثالث : في فضل الشعر ومنافعه وتأثيره في القلوب ومواقعه .

الرابع : في كشف ما مدح به وذم بسببه ، وهل تعاطيه أصلح أم رفضه أوفر وأرجح ؟

الخامس : فيما يجب أنْ يتوخاه الشاعر ، وينجنه ، ويطرحه ويتطلبه .
والفصل الأول من الكتاب يمثل فنون البلاغة ، أما الفصول الأخرى فهي أقرب إلى أصول نقد الشعر . ويدو من الفنون البلاغية التي عرضها أنه لم يتبع في ترتيبها منهاج المغارقة الذي يمثله في القرن السابع للهجرة السكاكى صاحب « مفتاح العلوم » وملخصوه وشارحوه ، وإنما اتبع ابن المعتر ، وابن رشيق ، وابن منقد ، في عرض الفنون . ووقف على ما يتصل بعلم البيان والبديع ، ولم يتطرق إلى علم المعاني الذي يُعنى بتركيب الكلام .
للعلوى بعض الآراء على الرغم من أنَّ الموضوعات التي ذكرها ليست جديدة فقد سبقه إلى بحثها الكثيرون . وقد أشارت إليه محقق الكتاب الدكتورة نهى عارف الحسن ، ومنها :

أولاً : موقفه من آراء العلماء في البلاغة .

ثانياً : موقفه من الفرق بين الصناعة والمصنوع .

ثالثاً : موقفه من آراء المتقدمين (٥١) .

(٥٠) نَصْرَةُ الْأَغْرِيْضِ ص ٤١ .

(٥١) مقدمة نَصْرَةُ الْأَغْرِيْضِ ص (ح - ط) .

ولا يقلل من قيمة الكتاب عرضه لموضوعات مسبوقة ، إذ يتجلّى جهده في بناء الكتاب وإفراده فصلاً لكل موضوع وشموله ، وغنى مادته الأدبية إذ فيه كثير من النصوص الشعرية والنواادر والحكايات .

ويعد كتاب «نَضْرَةُ الْأَغْرِيْضِ فِي نَصْرَةِ الْقَرَيْضِ» من آخر الكتب التي سلكت سبيل الأوائل في بحث فنون البلاغة، وذلك قبل أن يسيطر منهج السكاكي عليها فتضيّع شروحاً وتلخيصات تنوء بالقضايا المنطقية والفلسفية والعلوم البعيدة عن الدرس البلاغي كما فعل شراح التلخيص حينما تحدثوا عن الملوكات والمقولات والدلالات العقلية والحواس الخمس وغير ذلك مما جعل البلاغة غير خالصة لفن القول وجعلها قواعد تحفظ وشواهد تتكرر من غير وقوف على ما فيها من روعة وجمال .

٧ - ابن أبي الحميد :

هو عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن أبي الحسين هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبي الحميد المدائني . ولد في المدائني في غرة ذي الحجة ميئنة ست وثمانين وخمسمائة للهجرة ونشأ بها وتلقى العلم عن شيوخها ودرس المذاهب الكلامية فيها ، ومال إلى مذهب الاعتزاز . ورحل إلى بغداد وكانت حافلة بالعلماء ومجالسهم وبالمكتبات فقرأ الكتب واستزد من العلم وتعمق في البحث .

كان فقيهاً أصولياً لذلك قال عنه ابن الفوطي : «الكاتب الأصولي»^(٥٢) وكان متكلماً وأديباً ناقداً وشاعراً وكاتباً بديع الإنشاء حسن الترسل . وقد أهّلتْه ثقافته الفقهية والكلامية والأدبية لنيل الحظوة عند الخلفاء العباسيين وان توكل إليه وظائف مختلفة ، فكان كاتباً في دار التشريفات، ثم رئيسيًّاً كاتباً في المخزن سنة تسع وعشرين وستمائة ، ثم رتب كاتباً بالديوان وعزل ، ورئيساًً مشرفًّاً بلاد الحلة في صفر سنة اثنين وأربعين وستمائة ،

(٥٢) تلخيص مجمع الآداب ج ١ ص ١٩٠ .

تم عزل ورتب خواجة للأمير علاء الدين الطبرسي ، ثم رتّب ناظراً في
البيمارستان العضدي ، ثم لما هرب جعفر بن الطحان الضامن رتب عوضه بالأمامية
من غير ضمان فلم ي عمل شيئاً ، وصنف للوزير كتاب « شرح نهج البلاغة » .
توفي ببغداد سنة خمس وخمسين وستمائة ، وقيل سنة ست وخمسين
وستمائة ، قال ابن الفوطي في « تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب » :
« بقي بعد الدولة العباسية ولم تطل أيامه وتوفي في جمادى الآخرة سنة ست
وخمسين وستمائة »^(٥٣) وكان من خلص من القتل في دار الوزير مؤيد الدين
العلقمي مع أخيه موفق الدين .

له من المصنفات :

- ١ - الاعتبار على كتاب الذريعة في أصول الشيعة للمرتضى .
- ٢ - اعتقاد المستصفى للإمام الغزالى .
- ٣ - الحواشى على كتاب المفصل في الحو .
- ٤ - ديوان شعر .
- ٥ - شرح الآيات البينات - لفخر الدين الرازي (مخطوط) .
- ٦ - شرح المحصل للإمام فخر الدين الرازي
- ٧ - شرح مشكلات الغرر لأبي الحسين البصري .
- ٨ - شرح نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - وقد طبع
عدة طبعات وآخرها بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم في عشرين مجلداً
(القاهرة ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م) .
- ٩ - شرح الياقوتة في الكلام لابن نوبخت .
- ١٠ - العقري الحسان .
- ١١ - الفلك الدائر على المثل السائر . طبع على الحجر سنة ١٣٦٩ هـ ببنفة
الميرزا محمد الشيرازي في (١٨٤) صفحة . وحققه الدكتور احمد الحوفي

(٥٣) تلخيص مجمع الآداب ج ١ ص ١٩٠ .

- والدكتور بدوي طباعة والحقا بكتاب «المثل السائر» في أدب الكتاب والشاعر» لضياء الدين بن الأثير، وطبعاه الطبعة الاولى في القاهرة
- ١٢ - القصائد السبع العلويات (مطبوع)
 - ١٣ - المستنصريات
 - ١٤ - قظم فصيح ثعلب (مخطوط)
 - ١٥ - نقض المحسوب في علم الاصول للإمام فخر الدين الرازي
 - ١٦ - الوشاح الذهبي في العلم الأبي^(٤)
- ويعد ابن أبي الحديد من التف في البلاغة والنقد ببغداد، وكان ضياء الدين بن الأثير قد ألف كتابه «المثل السائر» فكان لكتابه صدى عند انتشاره، وألقت عليه كتب تؤيده وتشني عليه، وكتب تقرّط في ذمه ونفيه. ومن الصنف الثاني كتاب «الفلك الدائر على المثل السائر» لابن أبي الحديد الذي قال فيه أخوه أحمد لما سمع بتأليفه :

المثل السائر ياسيني صنفت فيه الفلك الدائري
لكن هذا فلك داير صبحت فيه المثل السائر

قال المؤلف في مقدمة «الفلك الدائر» : « وبعد فقد وقفت على كتاب نصر الدين بن محمد الموصلي المعروف بابن الأثير الجزري المسمى كتاب «المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر» فوجدت المحمود والمقبول ، والمردود والمرذول ، أما المحمود منه فانشاؤه وصناعته فإنه لا يأس بذلك إلا في الأقل النادر ، وأما المردود فيه فنظره وجده واحتاججه واعتراضه ، فإنه لم يأت في ذلك في الأكثر الأغلب بما يلتفت إليه مما يعتمد عليه »^(٥) .

(٤) تنظر مقدمة الجزء الأول من شرح نهج البلاغة ، ومقدمة الفلك الدائر على المثل السائر .

(٥) الفلك الدائر ص ٣١-٣٢ .

وَجْدَاهُ إِلَى تَبَعِهِ وَمَنْاقِضِهِ أَمْوَارٌ مِنْهَا : إِزْراؤُهُ عَلَى الْفَضْلَاءِ ، وَغَضْبُهِ مِنْهُمْ وَعَيْبُهِ لَهُمْ ، وَطَعْنَهُ عَلَيْهِمْ وَإِفْرَاطُهُ فِي الْأَعْجَابِ بِنَفْسِهِ وَالتَّبَجُّحُ بِرَأْيِهِ وَالتَّقْرِيرُ لِمَرْفَعِهِ ، وَمِنْهَا أَوْمَأَ فِي كِتَابِهِ إِلَى عِتَابٍ دَهْرِهِ الَّذِي لَمْ يُعْطِهِ عَلَى قَبْدَرٍ اسْتِحْقَاقَهُ وَأَنَّ جَمَاعَةَ مِنْ أَكَابِرِ الْمُوَصَّلِ قدْ حَسِنَ ظَنَّهُمْ فِي هَذَا الْكِتَابِ ، وَتَعَصَّبُوا لِهِ حَتَّى فَضَلُّوهُ عَلَى أَكْثَرِ الْكِتَابِ الْمُصْنَفَةِ فِي هَذَا الْفَنِ ، وَأَوْصَلُوا مِنْهُ نَسْخًا إِلَى بَعْدَادٍ وَأَشَاعُوهُ وَتَدَاوَلُوهُ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِهَا .

وَقَدْ أَرَادَ أَبْنَى الْحَدِيدَ أَنْ يَعْرُفَ أَبْنَى الْأَثِيرَ أَنَّ الْأَرْزَاقَ لَيْسَ عَالِيَّ مَقَادِيرِ الْاسْتِحْقَاقِ ، وَأَنَّ الرِّزْقَ مَقْسُومٌ لَا يَجْلِبُهُ الْفَضْلُ وَلَا يُرْدِهُ النَّقْصُ ، وَإِنَّ يَغْضَبَ مِنْ كِتَابِهِ الَّذِي شَاعَ وَاتَّسَرَ . بِهَذِهِ الرُّوحِ وَضْعُ أَبْنَى الْحَدِيدَ كِتَابَهُ وَتَقْرُبُهُ إِلَى الْخَرَائِثِ الْمُسْتَقْرِيَّةِ .

وَمِنْهُجُهِ فِي الرَّدِّ يَقُولُ عَلَى إِيَّاهُ عِبَارَةً «الْمُثْلُ السَّائِرُ» وَالْتَّعْقِيبُ عَلَيْهَا ، مَثَلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ : «قَالَ الْمُصْنَفُ : وَصَنَاعَةُ تَأْلِيفِ الْكَلَامِ مِنَ الْمُشْوَرِ وَالْمُنْظَوِّمِ تَفَقَّرُ إِلَى آلَاتٍ كَثِيرَةٍ وَقَدْ قِيلَ . إِنَّ كُلَّ ذِي عِلْمٍ يُسَوِّغُ لَهُ أَنْ يُنْسَبَ فَسَهُ إِلَيْهِ فَيَقُولُ : «فَلَانَ الْكَاتِبُ» لَمَا يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ مِنَ الْخَوْضِ فِي كُلِّ فَنٍ » . وَأَقُولُ : «هَذَا الْكَلَامُ مِنْ أَبْئَهَاتِ الْكِتَابِ وَتَزْوِيقَاتِهِمْ ، وَلَا يَتَعَوَّلُ عَلَيْهِ مَحْصُلُ وَهَذِهِ الْفَنُونُ الَّتِي ذَكَرَهَا الْكِتَابُ وَيَزْعُمُونَ أَنَّ الْكِتَابَ مُفْتَرَّةُ إِلَيْهَا إِنْ أَرَادُوا بِهَا ضَرُورَتَهَا لَهَا ، فَهَذَا باطِلٌ لَأَنَّ سَجْبَانَ وَقَسَا وَغَيْرَهُمَا مِنْ خُطَّابِ الْعَرَبِ مَا كَافَتْ تَعْرِفُهُمَا وَكَذَلِكَ مَنْ . كَانَ فِي أُولَى الْإِسْلَامِ مِنَ الْخُطَّابِ كَمَعَاوِيَةِ وَزِيَادِ وَغَيْرِهِمَا وَإِنْ أَرَادُوا أَنَّهَا مَتَّمَّةٌ وَمَكْمَلَةٌ فَهَذَا حَقٌّ ، وَلَكِنَّ عَدَمَهَا لَا يَقْتَضِي سَلْبَ اسْمِ الْكِتَابِ ، مَعَ أَنْ كُلَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْكَاتِبُ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الشَّاعِرُ وَزِيَادَةً »^(٥٦) .

وَمَضَى فِي مَثَلٍ هَذِهِ السَّبِيلِ ، وَفَاقَشَ أَبْنَى الْأَثِيرَ فَقَاتَشَا عَلَيْهَا حِينَا وَغَيْرَ عَلَمِي حِينَا آخِرٌ ؛ لِأَنَّهُ أَعْلَنَ فِي مَقْدِمَتِهِ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنَّهُ يَرِدُ كَثِيرًا مِنْ مَزَاعِمِ أَبْنَى الْأَثِيرِ . وَكَانَ يَسِيرُ فِي كِتَابِهِ عَلَى وَفْقِ تَرْتِيبِ «الْمُثْلُ السَّائِرُ» وَخَتَمَهُ بِقَوْلِهِ : «فَهَذَا مَا

(٥٦) الْفَلَكُ الدَّائِرُ ص. ٤١-٤٠ .

سنج لي بأذني النظر من الاعتراض على هذا الكتاب ، وقد اعترضت على موضع كثيرة منه للقول فيها مجال فلم أذكرها إيشارا للايجاز ، ومواضع يرجع كلامه فيها إلى الجدل ومحض العناد ، لافي المعنى ، فكان الاشتغال بها والبحث فيها تضييعاً للوقت من غيرفائدة . ورأيت أن يتم الكتاب ههنا حامداً الله ومصلياً على خير خلقه محمد النبي الأمي "صلوات الله عليه وسلمه" ^(٥٧) . وكان قد ذكر في المقدمة أنه ألقته في خمسة عشر يوماً ، قال : « وهذا الكتاب وقع إلى في غرة ذي الحجة من سنة ثلاث وثلاثين وستمائة فتصفحته أولاً في ضمن الاشغال الديوانية التي أنا بصددها وعلقت في هذا الكتاب في أثناء تصفحه على الموضع المستدركة فيه إلى نصف الشهر المذكور ، فكان مجموع مطالعتي له واعتراضي عليه خمسة عشر يوماً ولم أُعاوره النظر فيه دفعه ثانية ، وربما تسنج لي عند المعاودة نكت أخرى ، وإن وقع ذلك الحقتها» ^(٥٨) . ويبدو أنه لم يلتحق بي كتابه شيئاً لأن الأحداث كانت قترياً ، وكان المغول قد توجهوا إلى بغداد فاحتلوها وقضوا على الخليفة العباسية سنة ست وخمسين وستمائة للهجرة .

ونَقَدَ الكتابَ في «*شرح نهج البلاغة*» ورد رأي ابن الأثير في بعض المسائل منها : التعریض والكتابية ، ويتبين تحامله في الكتابين ، ومقدمة : «الفلك الدائر» تمثل هذه النزعة وكذلك تسمية الكتاب ، قال «وقد سميت هذا الكتاب «الفلك الدائر على المثل السائر» لأنه شاع في كلامهم وكثير في استعمالهم أن يقولوا مِنْ بَادَ ودُثُر «قد دار عليه الفَلَكُ» كأنهم يريدون أنه قد طحنه ومحا صورته» ^(٥٩) .

وأثار كتاباً ابن الأثير وابن أبي الحديد حرفة بلاغية ونقدية ، وألّفت عدّة كتب منها : «نشر المثل السائر وطبي «الفلك الدائر» لمحمود بن الحسين

(٥٧) الفلك الدائر ص ٣١٠ .

(٥٨) الفلك الدائر ص ٣٤ .

(٥٩) الفلك الدائر ص ٣٥ .

الركن السنجاري ، و «نصرة التأثر على المثل السائر» لصلاح الدين خليل ابن أبيك الصفدي .

(٣)

هذه وقفة عند انجازات علماء بغداد في البلاغة ، وهم كثرون من أشهرهم الذين أثروا في الدرس البلاغي ابن المعتز الذي كان أول من ألف في البدیع ثم قلام قدامة بن جعفر ، وابن وهب الكاتب ، وابن فاقیا البغدادی ، وأبو طاهر البغدادی ، والمظفر العلوی ، وابن ابی الحدید . وهؤلاء يمثلون الدرس البلاغي في بغداد ، وكان لهم دور كبير في البلاغة والنقد : ويوضح ذلك في :

أولاً : أنهم كانوا رواد البحث البلاغي ولا سيما ابن المعتز الذي وضع أول كتاب في « البدیع » وتبعه البلاغيون والنقاد في بغداد ومختلف البيئات العربية .

ثانياً : أنهم لم يقفوا عند معالم الدرس البلاغي الاول وافما طوروها ، وزادوا في فنون البلاغة كقدامة بن جعفر الذي انفرد عن السابقين بعده فنون وفعل مثله منْ جاء بعده فأوصلوها الى أكثر من مائة فن بلاغي فضلاً عن اقسامها التي بلغت المئات .

ثالثاً : أنهم وجهاً النقد الادبي وكانت كتبهم معيناً استقى منه النقاد مقاييسهم النقدية كالآمدي في « الموافنة بين الطائيين » وعلي بن عبد العزز الجرجاني في « الوساطة بين المتباين وخصومه » . ومن أهم سمات الدرس البلاغي في بغداد :

أولاً : أنَّ علماء البلاغة في بغداد كانوا شعراءً وكتاباً وقد طبعت نزعتهم الفنية البلاغة بطبع أدبي يعتمد على الذوق أكثر من اعتماده على التقسيمات المنطقية والقواعد العقلية ، فهم بذلك يمثلون المدرسة الادبية التي ألمح اليها أبو هلال العسكري بقوله في كتاب الصناعتين : « وليس

الغرض في هذا الكتاب سلوك مذهب المتكلمين ، وإنما قصدت فيه مقصد صناع الكلام في هذا الفصل »^(٦٠) . وافتخر بها جلال الدين السيوطي بقوله : « ورزقت التبحر في سبعة علوم : التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعاني ، والبيان ، والبديع ، على طريقة العرب والبلغاء لاعلى طريقة العجم وأهل الفلسفة »^(٦١) .

ومن اهم خصائص هذه المدرسة او هذا الاتجاه ابعادهم عن الخوض في التسميات العقلية والمسائل الفلسفية ، والاكتئار من النصوص الشعرية والثرية ، وتحكيم الذوق السليم ٠

وكتب علماء بغداد في البلاغة تحو هدا المنحى ولذلك فهي تمثل الاتجاه الأدبي أو المدرسة الأدبية التي شاعت في الأقاليم العربية كالعراق والشام ومصر والمغرب ٠

ثانياً : ان غلبة الجانب الأدبي على الدرس البلاغي أدى إلى أن تبحث الفنون البلاغية بحثا لا يخضع لتبويب او تصنيف في اغلب الاحيان ٠

ثالثاً : لم يقسم العلماء البلاغة إلى علماتها الثلاثة المعاني ، والبيان ، والبديع وإن عاش بعضهم بعد ظهور منهج السكاكي كالمظفر العلوى وابن أبي الحديد ٠

رابعاً : أكثر المؤلفون من النصوص الشعرية والثرية ، وكانوا يصدرون أحكاماً ذوقية على كثير منها ويستعدون عن التعليقات العقلية والخوض في المسائل المنطقية والفلسفية التي كانت من أوضح سمات المدرسة الكلامية التي يمثلها «التلخيص» و «الايضاح» للخطيب القزويني و «شرح التلخيص» ٠

(٦٠) كتاب الصناعتين ص ٩ ٠

(٦١) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩٠ ٠

وكان من المؤمل أن يسود هذا الاتجاهُ الدرسُ البلاغي لولا سيطرة الأعاجم على العراق بعد سقوط الدولة العباسية سنة ست وخمسين وستمائة للهجرة، واتصال كثير من العلماء إلى الشام ومصر والمغرب.

لقد افخر هذا التيار الأدبي لأنّي بغداد وحدها وإنما في كثير من البيئات العربية والاسلامية إذ دخل العراق في عهد المغول والتركمان بعد سقوط الدولة العباسية، وانكفاء العلماء على التراث البلاغي يلخصونه ويشرحونه ولا يضيفون إليه إلا شذرات لا تُحيي ما اندرس، ولا تغير منهجاً سار عليه البلاغيون وهو منهج «مفتاح العلوم» للسكاكى المتوفى سنة ست وعشرين وستمائة للهجرة، ومن تبعه كالخطيب القزويني المتوفى سنة تسع وثلاثين وسبعين للهجرة وشراح تلخيصه.

وظهر في بغداد بلاغيون ينحوون هذا المنحى ومنهم :

- ١ - أبو الحسن علي بن أبي اليمن سنجر بن عبدالله البغدادي (٧٥٠ هـ - ١٣٤٩ م) الذي صار بعده رئيس الحنفية وعالم العراق ومدرس المستنصرية.
- ٢ - ابن العاقولي غيث الدين أبو الكارم محمد بن صدر الدين محمد بن محبي الدين عبدالله بن أبي الفضل محمد الواسطي البغدادي (٧٩٧ هـ - ١٣٩٤ م) الذي درس في المستنصرية والنظامية.
- ٣ - الشيخ عبدالله السويدي (١١٧٤ هـ - ١٧٦١ م) وله «الجثمات في الاستعارات في علم البيان».
- ٤ - عبد الرحمن السويدي (١٢٠٠ هـ - ١٧٨٦ م) وله «شرح الجثمات في الاستعارات» والأصل لوالده الشيخ عبدالله السويدي في «علم البيان».
- ٥ - أبو الثناء شهاب الدين محمود الآلوسي (١٢٧٠ هـ - ١٨٥٤ م) وله «بلغ المرام من حل كلام ابن عاصم».

٦ - ابراهيم فصيح الحيدري الشافعي (١٣٠٠هـ - ١٨٨٣م) له تعليقات على
شرح عصام للاستغارة و «كامل التوفيق في فن البدع»^(٦٢) .

واختلف هؤلاء المؤلفون عن الاوائل اذ وقفوا عند منهج السكاكي والقزويني وشراح التلخيص ولم يأتوا بجديد ، وكانت كتبهم تعلمية تطعن عليها التقسيمات والتعريفات الجامحة المانعة ، والامثلة المتسرعة المعادة وحينما تنفست بغداد الصعشدة وبدأت الحركة الادبية تنشط ، سرت فيها فحمة تجمع بين القديم والجديد ، وبدأت الدراسات البلاغية تحاول بعث الروح في القديم وذلك باحيائه او التبيه على اهميته او بحث اتجاهاته وتياراته ، وكان لاساتذة التعليم العالي وقائمتهم دور بارز في تلك النهضة وإن كان كثير منهم قد أكمل دراسته خارج العراق ولكنهم حينما عادوا تبأوا مراكزهم العلمية في بغداد ولعل كتاب «دروس في البلاغة وتطورها» للدكتور جميل سعيد الذي صدر في بغداد عام ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م من أوائل الكتب التي أوجلت الدرس البلاغي في بغداد عنابة كبيرة . وتلاه تلاميذه وطلابه في الدراسات العليا ، وأخرجوا كثيرا من الدراسات البلاغية ، وبذلك أسهمت بغداد في البحث البلاغي كما أسهمت في عهودها القديمة .

وكان من المؤمل أن تستمر حركة البحث البلاغي في نهجها العربي لولا طغيان موجة غربية حرقتها عن نهجها القوي وأخذت توجهها وجها تناهيا بها عن الأساليب العربية ، فأصبحت البلاغة في السنوات الأخيرة غريبة على النساء الجديد ، لا لأنها لا تدرس وإنما لأنها ينبعون بالذات الادبية والنقدية القادمة من باريس .

(٦٢) تنظر علوم البلاغة بعد سنة ٦٥٦هـ في تاريخ الادب العربي في العراق ج ١ ص ٢١٠ وما بعدها ج ٢ ص ١٥١ وما بعدها .

لقد قال القدماء إنَّ البلاغة من العلوم التي لم تنضج ولم تحرق ، أي
أنَّ مداها واسع وانها تستوعب ما يستجد من أدب وبيان ، والعودة اليها
تحقيق للذات ، ولعل أفع ما فيها مؤلفات المدرسة الادبية وما أجزه علماء
بغداد فيها وبذلك يلتقي الجديد المشرق بالقديم المشرق ليت Jonathan أصولاً
نقدية وبلاغية تكون من سمات الأدب الجديد ، ومن معالم النهضة القومية التي
يسعى اليها كل مؤمن بأمتنا العربية ولغتها الخالدة .

وصفة القول :

كانت انجازات علماء بغداد في البلاغة عظيمة ، وتنجل في أمرين :

الاول : أن بغداد كانت مهد الدرس البلاغي وفيها ظهرت أهم كتب
البلاغة ذات الروح الادبية .

الآخر : انها حفظت التراث البلاغي العربي وظل علماؤها مشدودين اليه
على الرغم مما عافت من ظروف صعبة فرضتها مرحلة الجمود والاحتلال .

مركز تحقیقات کاپیویر علوم زبانی

الصادرة:

- ١ - أبو تمام - حياته وشعره - الدكتور نجيب محمد البهبيتي الطبعة الثانية - بيروت ١٩٧٠ م .
- ٢ - الاتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي . القاهرة .
- ٣ - الأعلام - خير الدين الزركلي - الطبعة الخامسة . بيروت ١٩٨٠ م .
- ٤ - الأغاني - أبو الفرج الأصفهاني ، طبعة دار الكتب المصرية - القاهرة .
- ٥ - الامتناع والمؤانسة - أبو حيان التوحيدي - تحقيق احمد امين واحمد الزين . القاهرة .
- ٦ - انباه الرواة على انباه النحاة - علي بن يوسف الققطني . القاهرة ١٣٨١ هـ - ١٩٥٢ م .
- ٧ - البديع - عبدالله بن المعتز . طبعة كراتشيفسكي لندن ١٩٣٥ م .
- ٨ - البرهان في وجوه البيان - ابن وهب الكاتب . تحقيق الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديشي بغداد ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .
- ٩ - بغية الوعاء في طبقات اللغويين والنحاة - جلال الدين السيوطي تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم - القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م .
- ١٠ - البيان والتبيين - ابو عثمان الجاحظ تحقيق عبد السلام محمد هارون القاهرة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م .
- ١١ - تاريخ الأدب العربي - كارل بروكلمان مترجم
١ - الألمانية (الملحق ج ١) ليدن - بريل ١٩٣٧ م .
- ٢ - العربية (الجزء الخامس - ترجمة الدكتور رمضان عبدالتواب - القاهرة ١٩٧٥ م) .
- ١٢ - تاريخ الأدب العربي في العراق - عباس العزاوي ج ١ / ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م - بغداد ج ٢ / ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م - بغداد
- ١٣ - تاريخ الطبرى - ابن جرير الطبرى . القاهرة
- ١٤ - تلخيص مجمع الأداب في معجم الالقاب - ابن الفوطى تحقيق الدكتور مصطفى جواد . دمشق .
- ١٥ - الجمان في تشبيهات القرآن - ابن ناقيا البغدادي - تحقيق الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديشي بغداد ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .
- ١٦ - الجواهر المضية في طبقات الحنفية - القرشى حيدر اباد الدكن .

- ١٧ - حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة - جلال الدين السيوطي
القاهرة ١٢٩٩ هـ .
- ١٨ - الخراج وصناعة الكتابة - قدامة بن جعفر تحقيق الدكتور محمد حسين
الزبيدي بغداد ١٩٨١ م .
- ١٩ - خريدة القصر وجريدة العصر - عماد الدين الأصبهاني الكاتب . تحقيق
محمد بهجة الأثري .
ج ٢/١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
ج ٣/١٣٩٩ هـ - ١٩٧٨ م .
- ٢٠ - زهر الآداب وثمر الألباب - أبو اسحاق الحضرمي . تحقيق الدكتور زكي
مبarak الطبعة الثالثة - القاهرة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م .
- ٢١ - شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم
القاهرة ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م .
- ٢٢ - الفلك الدائري على المثل السائر - ابن أبي الحديد تحقيق الدكتور أحمد
الحوفي و الدكتور بدوي طبانه . القاهرة .
- ٢٣ - الفهرست - ابن النديم تحقيق رضا تجدد . طهران .
- ٢٤ - فوات الوفيات - محمد بن شاكر الكتبني . تحقيق الدكتور احسان عباس.
مترجم من الإنجليزية بتأريخ ١٣٧٤ م .
- ٢٥ - قانون البلاغة في نقد النثر والشعر - أبو طاهر محمد بن حيدر البغدادي.
تحقيق الدكتور محسن غياض عجیل بیروت ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- ٢٦ - كتاب الصناعتين - أبو هلال العسكري تحقيق علي محمد الباجوبي ومحمد
أبو الفضل إبراهيم . القاهرة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .
- ٢٧ - مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق - المجلد الأربعون (الجزء الرابع)
تشرين الأول ١٩٦٥ م - جمادى الآخرة ١٣٨٥ هـ .
- ٢٨ - المحمدون من الشعراء - يوسف القبطي تحقيق حسن معمرى الرياض
١٣٩٥ هـ - ١٩٧٠ م .
- ٢٩ - معجم الأدباء - ياقوت الحموي . تحقيق د. س مرغلیوث - الطبعة
الثانية - القاهرة ١٩٣٠ م .
- ٣٠ - معجم المؤلفين - عمر رضا كحاله - بیروت .
- ٣١ - الموسوعة - المرزباني تحقيق علي محمد الباجوبي القاهرة ١٩٦٥ .

- ٣٢ - النجوم الظاهرة في ملوك مصر والقاهرة - ابن تغري بردي . القاهرة .
- ٣٣ - نصرة الاغریض في نصرة القریض - المظفر بن الفضل العلوی - تحقيق الدكتورة نهى عارف الحسن دمشق ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .
- ٣٤ - نقد الشعر - قدامة بن جعفر - تحقيق كمال مصطفى القاهرة ١٩٦٣م .
- ٣٥ - نقد النثر - المنسوب الى قدامة بن جعفر - تحقيق الدكتور طه حسين وعبدالحميد العبادي - القاهرة .
- ٣٦ - الوفي بالوفيات - صلاح الدين الصفدي باعتناء ريتـ ١٣٨١هـ - ١٩٦١م
- ٣٧ - وفيات الأعيان وابناء الزمان - ابن خلkan تحقيق محمد محبي الدين عبدالحميد - القاهرة .

